



الرد على نقد العهد القديم – ١

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٥

الرد على نقد العهد القديم - ١

كان Jean Astruc (١٦٨٤-١٧٦٦) هو أول من تخيل أن التوراة، أي أسفار موسى الخمسة تحتوي على عدة أسماء إلهية، أهمها إلهيم - يهوه، وبالتالي ظن أنه توجد وثيقتين جُمعا معاً: الأولى خاصة بإلهيم، والثانية خاصة بيهوه؛ لأن اختلاف الاسمين جعله يعتقد أن التوراة هي مجموعة وثائق جُمعت معاً.

هذه نظرية وفرض؛ لأن عدم العثور على وثيقتين، يجعل فكرة دمج وثيقتين مجرد احتمال لا يرقى إلى الحقيقة. وتقدمت فكرة Astruc إلى البحث في النصوص التي تكررت، ومع تكرار بعض النصوص توصل إلى: الوثيقة J يهوه - الوثيقة E إلهيم - الوثيقة D شرح التثنية - الوثيقة P أي الشرح الكهنوتي. إلا أن هذه الفكرة لم تجد رواجاً حتى جاء Julius Wellhausen (١٨٤٤-١٩١٨) وصار هو المدافع الأول عنها، لا سيما بعد أن حصل على وظيفة أستاذ العهد القديم أولاً في Marburg وبعد ذلك في Göttingen.

ونقدّم هنا مثلاً يوضح دور الخيال والافتراض، وهو اعتبار أن (تكوين ١: ٤) مكون من قسمين:

"ورأى الله النور أنه حسن - القسم الأول إلهيم

"وفصل الله بين النور والظلمة - القسم الثاني إلهيم

التعسف في هذا التقسيم ظاهر في أن اسم الله "إلهيم" (تكوين ١: ١) حتى آخر قصة الخلق هو إلهيم؛ لأن الفكرة الأساسية هي أن اختلاف أسماء الله يعني تعدد وثائق.

ما فشلت فيه النظرية الافتراضية:

أولاً: هو الاعتماد المطلق على أن النص يؤسس العقيدة، وهي فكرة غير تاريخية؛ لأن عقيدة الشعوب السامية لم تبدأ بنصوص، بل باختبار ومشاهدة وحوار

واستعلان إلهي كما حدث مع إبراهيم، وبعد ذلك كتب النص.

ثانياً: تعدد أسماء الله مثل يهوه - إلهوهم - إل EL - إيل عيلون - إيل شداي - أدوناي - صباؤوت، ليس له علاقة بوثائق، بل هو الاختبار الشخصي لله الذي هو إله شخصي Personal يتحدث مع البشر ويعطي المواعيد ويجرك أحداث التاريخ.

ثالثاً: الإحصاء الرقمي يوضح حقيقة هامة، وهي أن تطور الشعور والحس الديني يجعل بعض الأسماء تنال أهمية أكبر لأسباب تاريخية مثل اسم "يهوه" الذي ورد في العبرانية ٦,٨٢٣ مرة، ولأنه اقترن بقصة الخروج صارت له أهمية أكبر في التاريخ من باقي الأسماء التي لم تختف، ولكن قل استعمالها، ولذلك بعد العودة من السبي، أبطل اليهود استعمال اسم "يهوه"، وساد استعمال اسم "أدوناي". وحتى في قراءة الأسفار عندما يرد اسم "يهوه" كان القارئ يقرأ الاسم "أدوناي"، رغم أن الاسم "يهوه" هو المكتوب، وذلك تقديساً للاسم.

وفي الشتات حلَّ الاسم اليوناني Kyrios محل اسم أدوناي، وصار هو الاسم المعتاد لفظة الرب.

وحتى الآن، عند اليهود المحافظين، يرددون فقط "الاسم" ويقولون "بارخ هاشم"، "أي بارك الاسم"، ويعني "الله"، دون أن يُنطق.

وخلاصة القول، لم تأخذ النظرية بعين الاعتبار:

- دور الأسماء الإلهية في التاريخ اليهودي

- تطور العبادة اليهودية

وحتى مع افتراض صحة وجود وثائق جُمعت معاً: D - P - E - J فإن لدينا

نصوص كثيرة جمعها M. H. Segal مؤكداً أن النص الواحد لا يمكن تقسيمه إلا بتعسف شديد مثل تكوين ٢٢: ١١ حسب العبرانية:

"ودعى ملاك يهوه من السماء وقال لإبراهيم ...

الآن أنا أعلن أنك تخاف ألوهيم ...".

وطبعاً، يمكن استخدام الخيال لتصور ما هو غير موجود في النص، ولكن يبقى

النصُّ سائداً على النظرية التي فشلت في شرح السبب الحقيقي لدمج هذه الوثائق. ومثال آخر صارخ، وهو أن (تكوين ٤: ٢٦) يقول إن ولادة أنوش لابن نوح شيت كانت بداية الدعاء باسم يهوه، بينما يؤكد سفر الخروج أن اسم "يهوه" استعلن لموسى (خروج ٣: ١٣-١٥)، والحل أبسط، وهو من اقتراح Claus Westermann فالقبائل السامية لها تاريخ سماعي غير مدون، يُنقل شفويًا، وأداة نقل التاريخ هي العبادة، أي الصلاة، وحتماً بعد الرحيل والاستقرار في أرض مصر، لم يعد للاسم "يهوه" أي مجال في العبادة، ولذلك جاء النص: "من الآن لا تدعوني إله آبائي، بل من الآن اسمي هو يهوه" (تكوين ١٧: ٥، ١٧: ١٥)؛ لأن سيادة اسم "إله الآباء" على العبادة، لم يعد له مكان، وهو ما يؤكد سفر الخروج بعد ذلك (٦: ٢-٣). أما الذي ظهر لإبراهيم واسحق ويعقوب فكان "إيل شداي"، ولم يكن اسم "يهوه" قد استعلن لهم، فالأسماء ليست واثق، بل هي استعلانات إلهية خاصة بأشخاص تحدثوا مع الله.

ما هو جدير بالانتباه هو أن نفس الاتجاه مس القرآن الذي لم يسلم من طعنات النقد على أساس لغوي عند Arthur Jeffery وعلى أساس جمع السور عند David Muir وأخيراً ظهرت أول طبعة نقدية للقرآن نشرها استاذ القانون الدولي الفلسطيني الأصل سامي عوض الذيب أبو ساحليه بالرسم الكوفي المجرى والعثماني والاملائي في مجلد يقع في ٦٢٨ صفحة.

ولعل المثقفون العرب لا يعرفون أن الكتبَ سلغُ تباع، وأن كل كتاب له أسباب دون أن يكون له انتماء أكاديمي، فهو لا يرقى إلى مستوى العلم، بل هو في دائرة البحث والتكهن. ولا زالت مخطوطات صنعاء في اليمن التي لم تُنشر كلها، تؤكد لنا أن التاريخ يسبق النص، وأن التاريخ هو عادات وصلوات واحتياجات البشر التي صاغت كل النصوص.